# دور اللسانيات في تطوير النقد الأدبي الحديث

**Imirana MAIGA**
King Saud University
imiranam@gmail.com
imrsem@yahoo.fr

## ملخص

إن القرن التاسع عشرة يعتبر عصر اللسانيات، الذي فتح الآفاق للعلوم الإنسانية في هذا العصر، وبالأخص المجال النقدي الذي يعتبر هو المستفيد الأول من ثمرات اللسانيات، حيث كلاهما يعملان على مادة واحدة وهي: مادة اللغة. إلا أن اللسانيات اهتمت باللغة العادية في حين اعتنى النقد باللغة الإبداعية فأخرج النقد من مرحلة الانطباعية إلى الاعتماد على آليات فنية تحصن الناقد من الوقوع في شرك الانطباع الذاتي. ومع الطفرة العلمية للنقد الناتجة من تلاقح النقد واللسانيات وجدنا عدة مناهج من البنيوية إلى التفكيكية، والأسلوبية التي أرادت إطواء صفحة البلاغة، وغيرها من المناهج التي لاتزال تتوالد مع تطور اللسانيات، ولا ننسى تحليل الخطاب، وآليات القارئ واستجابته. تلك هذه الملاحظات العلمية التي سيتحدث عنها هذه الدراسة في الأسطر التالية.

الكلمات المفتاحية: دور– اللسانيات– تطوير– النقد الأدبي– الحديث.

## Abstract

The nineteenth century is the age of linguistics, which opened the horizons for human sciences in this age, especially the monetary field, which is considered the first beneficiary of the fruits of linguistics, where both work on one material: language. However, linguistics was interested in the ordinary language, while the criticism in the creative language took criticism from the impressionist stage to rely on technical mechanisms to prevent the critic from falling into the trap of self-impression. And with the scientific breakthrough of criticism resulting from the exchange of criticism and linguistics we found several approaches from structural to deconstruction, stylistic, which wanted to contain the page rhetoric, and other approaches that continue to breed with the development of linguistics, and do not forget the analysis of speech, and the mechanisms of the reader and his response. These scientific observations, which will be discussed in this study in the following lines.

Keywords:Role, Linguistict, Development, Modern Literary Criticism

**التمهيد: نشأة علم اللغة، وأهم مناهجه.**

لقد كانت البدايات لعلم اللغة في العصر الحديث تدور حول الدراسات التي تعتني بفقه اللغة، والمقارنة بين بعض اللغات القديمة ووصفها من حيث كثافة المفردات وجمالياته فاحتل المنهج المقارن مكان الصدارة في عالم الدراسات اللغوية، بما قدّمه السير "ويليام جونز" عن العلاقة القوية بين السنسكريتية والفارسية القديمة، وبين اللاتينية واليونانية والجرمانية والهندية، فحدّد بذلك مرحلة هامّة تبرز تطوّر دراسات اللغوية في الغرب. بل تُعَدّ أهم حادث يمكن اعتباره نقطة البداية لعلم اللغة الحديثة، وقد امتدّت آفاق علم اللغة المقارن فيما بعد؛ لتشمل مجموعات من اللغات مثل الآكادية، والعبرية، والعربية، والآرامية، وغيرها من المجموعة الثانية. "وعندما أتي القرن التاسع عشر، شهدت الدراسات اللغوية تطويرا كبيرا وكان من أهم ما أتى به هذا القرن هو الاتجاه إلى الدراسة اللغوية التاريخية، بعد أن اكتشفت اللغة السنسكريتية، وعرفت علاقتها باللاتينية والإغريقية وغيرهما، ومنذ ذلك الحين عرفت الدراسة اللغوية ثلاث مناهج، هي المنهج الوصفي، والمنهج التاريخي، والمنهج المقارن"[1]. وأما الدراسة الوصفية –خلال هذا القرن التاسع عشر– فلم تَنَلْ حظها من الاهتمام التي حظيت به الدراسة التاريخية، وكان الاعتقاد السائد بأن اللغات التي تستحق الدراسة هي تلك اللغات العظمى التي حملت الحضارة الأوربية، والتي صارت كذلك لغات استعمارية، وقد استقر الرأي على وجود اطراد في التغير الصوتي؛ شريطة ألا تتدخل عوامل أخرى مثل القياس، والاطراد اللهجي، أو الثقافي في طريق ما يسمى بالقوانين الصوتية.

**المنهج الوصفي:( مدرسة دي سوسير)**

إن الثورة العلمية للسانيات تكون مع محاضرات دي سوسير "محاضرات في علم اللغة العام" التي جمعت بعد وفاته، حيث فتقت هذه المحاضرات الأبواب الأولية لعلم اللغة الحديثة، مثل محتويات اللغة الصوتية والصرفية والنحوية الدلالية، وكون اللغة ظاهرة حية، وظاهرة اجتماعية، وأن المنطوق مسبق على المكتوب، وعليه فإن منهج دي سوسير في علم اللغة قائم على ثلاثة أسس وهي:

١/ تدريس اللغة من جانبين: الجانب الوصفي: والذي اعتبره دي سوسير ضروريا لدراسة اللغة، لأن اللغة كائن حي والدراسة الوصفية اهتمت بدراسة اللغة في مرحلة معينة لأنها تمثل ملخصا لكل النشاطات اللغوية، التي يستخدمها المجتمع اللغوي، وميز بين الدراسة الوصفية والدراسة المعيارية. أما الجانب الثاني وهو دراسة اللغة دراسة تاريخية، والتي تهتم بالتطورات التي تطرأ على اللغة....

[1] حسين، صلاح الدين صالح: دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض–المملكة العربية السعودية.، ص٤.

٢/ التمييز بين اللسان، واللغة، والكلام (Parole /Language/Langue): فاللسان: ملكة بشرية، مجاله أكثر اتساعا وأقل تميزا من اللغة. بينما اللغة: هي منتوج اجتماعي يتيح وجوده للفرد ممارسةُ ملكة اللسان[٢]. والكلام: وهو النشاط العضلي الصوتي الذي يقوم به الفرد الواحد[٣].

٣/ الأساس الثالث يتمثل في قضية المعنى، أو الدال والمدلول والرمز: حيث" أطلق على الموجود الخارجي مصطلح المدلول، وعلى اللفظ مصطلح الدال، وعلى الصورة الذهنية الرمز، وأوضح أن الرمز يشكل الوحدة الأساسية في الاتصال وهو موحد في كل لغة الجماعة وهو ذهني من هنا يؤكد دي سوسير أن اللغة نظام من الرموز"[٤].

وعلى هذا يعتبر دي سوسير الأب والمؤسس الأول لعلم اللغة الحديث، حيث اكتشف المبادئ الأساسية لهذا العلم، وقد رسم بوضوح ودقة الحدود الفاصلة بين فرعي علم اللغة: الوصفي والتاريخي، وحدّد موضوع علم اللغة، وهو: دراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها[٥]، وأن علم اللغة لا يدرس لغة معينة، وإنما يشمل كل ظواهر الكلام الإنساني[٦]؛ سواء كان ذلك في فترات قديمة، أم حديثة كما يُعَدّ نقطة انطلاق الفكر الدلالي، واستطاع أن يوضح لأول مرة الأهمية الكبرى للبنية أو التركيب داخل اللغة.

ويسمى منهج دي سوسير بالمهج الوصفي "وللمنهج الوصفي أسس عام توزعها أفكار تنظيمية للمنهج، وقواعد علمية في التحليل، منها أن الوصف لأي لغة ينبغي أن يبدأ من الصورة المنطوقة إلى الصورة المكتوبة باعتبار أن اللغة لها وجهان: وجه الكلام، ووجه الكتابة، متخذا ثلاثة طرق متكاملة في تحليل الظاهرة اللغوية وهي: استقراء الظاهرة(المادة اللغوية) مشافهة، ثم تقسيمها أقساما وتسمية كل قسم منها، ثم وضع المصطلحات الدالة على هذه الأقسام لتصل بعد ذلك إلى وضع القواعد الكلية والجزئية التي نتجت عن الاستقراء"[٧]

ولقد طور طلابه هذه المبادئ، فكونوا مدارس من أهمها: مدرسة براغ في موسكو ١٩٢٦م، ومدرسة فرنسا، من روادها مارتينيه، ومدرسة كوبنهاجن برئاسة هلمسليف سنة ١٩٣٠. وكلها مدارس استفادت من النظريات التي وضعها دي سوسير لدراسة اللغة.

---

[٢] ينظر: بافو، ماري آن، وجورج إلياس رفاتي: النظريات اللسانية الكبرى: من النحو المقارن إلى الذرائعية، ترجمة: مُحَمَّد الراضي، الطبعة الأولى: ٢٠١٢م، المنظمة العربية للترجمة، بيروت- لبنان. ص ١١٠.

[٣] ينظر: العلوي، شفيقة: محاضرات في المدارس اللسانية ص١٤.

[٤] ينظر: حسين، صلاح الدين صالح: دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن، ٦٤-٦٧، بتصرف

[٥] ينظر: العلوي، شفيقة: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، الطبعة الأولى:٢٠٠٤م، دار أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان. ص٩

[٦] الحناش، مُحَمَّد: البنيوية في اللسانيات، الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ/١٩٨٠م، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء- المملكة المغربية. ص ٤٠-٤١

[٧] بوقرة، نعمان: المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، ميدان الأوبرا- القاهرة،٢٠٠٣م. ص٦٨.

**مدرسة براغ:**

لقد قامت "هذه الحلقة على الأصول النظرية التي أرسى دعائمها(دي سوسير)، كما اتخذت من تصور(بودوان دي كورتناي)[٨] للفونيم نظرية كاملة للتحليل الفونولوجي، وهو العمل الذي اضطلع به عالمان من أكبر علماء هذه المدرسة هما: **نيكولاي تربتسكوي، ورومان جاكبسون**، وكفل النجاح لهذا المشروع ما تمتعت به (براغ) من تقاليد راسخة في الفكر اللساني"[٩] ولم يمض وقت طويل إلا وقد انتشرت فكرتها وذاع صيتها على الصعيد العلمي، وذلك بفضل المؤتمرات التي أقيمت بين علماء اللغة لترسيخ وإبراز مبادئ هذه الحلقة، مثل المؤتمر الدولي الأول لعلماء اللغة الذي عقد في (لاهاي) سنة ١٩٢٨م، تحت عنوان: النصوص الأساسية لحلقة براغ اللغوية، إضافة إلى المجلات العلمية، التي تصدر دوريا وتشتمل على الدراسات التي يقدمها منظروا هذه الحلقة والتي تعتبر إضاءة لأفكارهم حول دراسة اللغة. "وكان لمدرسة (براغ) الصدى الكبير في الأوساط اللسانية العالمية، ولدى عدد كبير من منظري ومثقفي العصر، من بينهم مؤسس اللسانيات الرسمية الفرنسية(أندريه مارتيه)الذي صقلت مبادئ ومفاهيم الحلقة في فرنسا مع(إميل بنفنيست)، وعلماء من تشيكو سلافيا... وبقيت هذه الحلقة في الإعطاء ونشر مبادئها حتى السنة ١٩٣٨م، حيث حلت الحلقة لأسباب ذات طابع أيديولوجي"[١٠]، وأهم آراء هذه المدرسة هي:

١. التفريق بين المنهجين التزامي والتاريخي في دراسة اللغة، وتقنين كل منهما.
٢. التركيز على الجانب الوظيفي في اللغة ودراستها.
٣. تبني نظرية التركيبية في دراسة اللغة، وتحليلها.
٤. الاهتمام بالتشكيل الصوتي(الفونولوجي) على أساس من نظرية الفونيم[١١]

وتسمى هذه الحلقة بالمنهج الوظيفي في الدراسات اللسانية الحديثة "لأنها اعتنت بالبعد الوظيفي للغة ممثلا بكيفية استخدام اللغة من حيث هي وسيلة اتصال، يستخدمها الأفراد للتواصل ولأهداف وغايات معينة"[١٢]، وهي أهم ما قامت عليه هذه الحلقة: "لاعتبار اللغة نظاما لا يمكن الفصل بين عناصره، انطلاقا من مبدأ (دراسة اللغة في ذاتها

---

[٨] بودوان دي كورتناي(١٨٤٥-١٩٢٥م) لساني بولوني، رائد اللسانيات، يعد من مؤسسي علم الفونولوجيا، درس الأصوات المكونة للكلام من حيث وظيفتها في التواصل.

[٩] بوقرة، نعمان: المدارس اللسانية المعاصرة، المرجع نفسه، ص ٨٤.

[١٠] بوقرة، نعمان: المدارس اللسانية المعاصرة، المرجع السابق، ص ٨٥.

[١١] ينظر: عمر أحمد مختار: محاضرات في علم اللغة الحديثة، ، الطبعة الأولى:١٩٩٥م، دار عالم الكتب، القاهرة- جمهورية مصر العربية. ص١٧٤.

[١٢] بوقرة، نعمان: المدارس اللسانية المعاصرة، المرجع نفسه، ص٨٥.

ولذاتها)، وعليه فإن منهجهم ينطلق من تحديد اللغة باعتبارها نظاما وظيفيا يهدف إلى تحقيق التواصل والتعبير، الذي يقتضي أن تحمل العناصر اللسانية شحنة إعلامية"[١٣]

وهاتان المدرستان من أهم المدارس اللسانية التي مهدت للتأثر والتأثير بين الحقل اللساني والنقد الأدبي، حيث نتج عن ذلك أولى المناهج التي غيرت النظر في النقد الأدبي مثل المنهج الشكلاني، والمنهج البنيوي، إضافة إلى الأسلوبية التي أرادت أن تغطي الدراسات البلاغية وتحل محلها.

**مبحث(١): إرهاصات التأثر والتأثير بين اللسانيات والنقد.**

لقد بقي النقد الأدبي لمدة طويلة يستمد مرجعيته النظرية من العلوم الإنسانية التي كانت في حالة تدهور، فكان لابد على هذا الأخير أن يتطور ليتقرب من لغة الظاهرة الأدبية التي يدرسها "وهنا جاء علم اللغة وقدم للدرس الأدبي تقنياته الخاصة التي خلصته من الاتكال على العلوم من خارجه كعلم النفس والاجتماع والسياسة والدين، وأعطاه شيئا من الاستقلال الذاتي، ذلك أن الأدب قواد اللغة الإنسانية، وعلم اللغة هو في الأساس الدراسة العلمية لهذه اللغة، وبهذا بدأ التاريخ لولادة علم جديد يجمع بن النقد الأدبي واللغة، كما بدأت مصطلحات علم اللغة تغزو لغة النقد الأدبي فقربت النقد اللغوي من علم اللغة"[١٤] ذلك العلم الحديث الذي كان بزعامة العالم السويسري (فرديناند دي سوسير)، هذه اللسانيات التي جاءت بتصور جديد في آلية التفكير فقد "فرضت وجودها على كل ميادين المعرفة الإنسانية، لأنها أصبحت تبحث في أصول آلية الإنتاج العلمي التي تفرز بها كل العلوم اللغوية ولهذا امتد تأثير اللسانيات إلى النقد الأدبي ويعيد بناء جهازه المعرفي، وعمل على تغيير أدواته العلمية ومعجمها النقدي"[١٥]. وكان الفضل في إظهار أعمال دي سوسير على الصعيد العلمي يرجع إلى طلابه الذين اعتنوا بجمع محاضراته بعد وفاته، ووضعوها بين أيدي الدارسين تحت عنوان (محاضرات في اللسانيات العامة)، وكان هدف الباحث في هذا المبحث أن يطلع إلى الجهود العلمية التي تركها طلاب دي سوسير في مجال تطوير النقد الأدبي، ذلك التطوير الذي كان ناتجا عن الاستعانة بالآليات التي وفرتها اللسانيات الحديثة للنظر في اللغة العادية، فاستعانوا بها للكشف عن مكونات ومقاصد اللغة الإبداعية.

**مطلب١: جهود طلاب دي سوسير في التآلف بين المجالين.**

لم يكن (دي سوسير) معروفا ولا حتى محاضراته لولا الجهود التي قام بها طلابه في جمع محاضراته واستخراجها تحت المسمى المعروف التي ترجم إلى عدة لغات، وبعدة ترجمات، والفضل في ذلك يعود إلى هذين الطالبين "شارل بالي، وسيشهاي: Sechehaye حيث قاما بجمع محاضرات أستاذهما ليصدراهما تحت هذا العنوان الشهير:( Course de

[١٣] المهيري، عبد القادر، وآخرون: أهم المدارس اللسانية، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس ١٩٨٦م. ص٣٩-٤٠.

[١٤] عمر، أحمد المختار: محاضرات في علم اللغة الحديثة، مرجع سابق. ص٩٥.

[١٥] الحناش، مُحَمَّد: البنيوية في اللسانيات مرجع سابق، ص٦

linguistique générale)، وقد كان بالي خليفة أستاذه على مقعد تدريس اللسانيات في جامعة جنيف"[١٦]. وسوف نحاول أن نذكر شيئا من جهود بالي لأنه هو الذي ذاع صيته في هذا المجال.

**شارل بالي( ١٨٦٥-١٩٤٧م):**

لقد كان (بالي) من طلاب رائد اللسانيات في العصر الحديث، واستفاد من محاضراته حيث اعتنى بالجانب الذي أهمله استاذه وهو الجانب الوجداني في اللغة "ويعد مؤسس علم الأسلوب معتمدا في ذلك على دراسات أستاذه (فرديناند دي سوسير) لكن (بالي) تجاوز ما قال به أستاذه، وذلك من خلال تركيزه الجوهري والأساسي على العناصر الوجدانية للغة، .... إلا أنه لم يقصد به دراسة الأسلوب الأدبي، وقد ألف مجموعة من الكتب هي: في الأسلوبية الفرنسية، صدر عام١٩٥٢م، والمجمل في الأسلوبية صدر عام ١٩٠٥م، واللغة والحياة صدر عام ١٩١٣م، واللسانيات العامة واللسانيات الفرنسية صدر عام ١٩٣٢م"[١٧] ومن خلال مناقشته لمفهوم الأسلوبية في كتبه تبين أن التفاته إلى الجانب الوجداني في اللغة "لم تتجاوز حدود اللغة العامة، والشائعة ولم ينقلها إلى ميدان دراسة الأسلوب، وبذلك ظلت أسلوبية **بالي** هي أسلوبية اللغة وليست أسلوبية الأدب، وبذلك يكون **بالي** قد جعل الجانب التأثيري ليس في اللغة من حيث هي استعمال، وإنما من حيث هي ظاهرة قائمة في اللغة بشكلها العام."[١٨] هذا يؤكد ما أشرنا إليه سالفا من أنه اعتنى بجانب أهمله أستاذه، وهذا الجانب لا يثبت إلا بمراعاة طرف آخر وهو الطرف المتلقي[١٩] الذي لم يعتبر له دي سوسير قيمة في الدراسات اللغوية. "ومن هنا كانت أسلوبية **بالي** قد ابتعد عن النص الأدبي، ولم تدرسه بمعايير النقد الأسلوبي، مع أنها تملك إمكانية عميقة الأبعاد والفاعلية لدراسة النصوص الأدبية، ولذلك فإن أسلوبية بالي التي تسمى بأسلوبية التعبير ظلت تعبيرية بحتة، ولا تعني إلا الإيصال المألوف والعفوي، وتستبعد كل اهتمام جمالي أو أدبي"[٢٠] وإنما توسعت الأسلوبية فيما بعدُ فشملت دراسة القيم الانطباعية والتعبير الأدبي. فأصبحت هي الأداة الجامعة بين علم اللغة والأدب، وإذ كان "علم اللغة هو الذي يدرس ما يقال، فإن الأسلوبية هي التي تدرس كيفية ما يقال، مستخدمة الوصف والتحليل في آن واحد...وقيل إن اللغة تقتصر على تأمين المادة التي يعمد إليها المتكلم أو الكاتب ليفصح بها عن فكرته،

---

[١٦] ينظر: محسب، محي الدين: الأسلوبية التعبيرية عند شارل بالي. من: علوم اللغة: دراسات علمية محكمة تصدر اربع مرات في السنة، رئيس التحرير: محمود فهمي حجازي الملد الأول، العدد الثاني ١٩٩٨م، دار غريب، للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة-جمهورية مصر العربية.ص٤٥.

[١٧] ربابعة، موسى: الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، الطبعة الأولى:٢٠٠٣م، دارا الكندي، للنشر والتوزيع، اربد- الأردن. ص ١٠.

[١٨] ربابعة، موسى: الأسلوبية،،، المرجع نفسه، ص ١١.

[١٩] ( وهو يقول: إن مهمة علم الأسلوب الرئيسية في تقديري تتمثل في البحث عن الأنماط التعبيرية التي تترجم في فترة معينة حركات فكر وشعور المتحدث باللغة، ودراسة التأثيرات العفوية الناجمة عن هذه الأنماط لدى السامعين والقراء) ينظر: فضل، صلاح: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، دار الشروق، القاهرة- جمهورية مصر العربية. ص٢١.

[٢٠] ربابعة، موسى: الأسلوبية،،، المرجع نفسه، ص ١١.

أما علم الأسلوب فهو يرشدنا إلى اختيار ما يجب أخذه من هذه المادة للتوصل إلى نوع معين من التأثير في السامع أو القارئ"[٢١]. وعليه فإن الأسلوبية ما هي إلا وليدة رحم لعلم اللغة الحديث الذي كان (بالي) من أوائل من شرب على منهله واستفاد من آثار رائده المؤسِّس.

**مطلب٢: المناهج النقدية التي تولدت من جهود طلاب دي سوسير: الأسلوبية.**

إن أهم منهج نقدي معاصر يأتي من جهود طلاب دي سوسير مباشرة هو المنهج الأسلوبي، الذي كان رائده شارل بالي. ومن هنا كانت "نشأة الأسلوبية من الناحية التاريخية مرتبطا ارتباطا واضحا بنشأة علوم اللغة الحديثة، وذلك أن الأسلوبية بوصفها موضوعا أكاديميا قد ولدت في وقت ولادة اللسانيات الحديثة، واستمرت تستعمل بعض تقنياتها..."[٢٢]، حتى يقول عبد السلام المسدي: "فمن حقائق المعرفة أن الأسلوبية ترتبط باللسانيات ارتباط الناشئ بعلة نشوئه، فلقد تفاعل علم اللسان مع مناهج النقد الأدبي الحديث حتى أخصبه فأرسى معه قواعد علم الأسلوب، وما فتئت الصلة بينهما قائمة أخذا وعطاء بعضها في المعالجات وبعضها في التنظير، غير أن كلا العلمين قد قويت دعائمها وتجلت خصائصه فتفرد بمضمون معرفي جعله خليقا بمجادلة الآخر في فرضياته براهينه وما يتوسل به إلى إقرار حقائقه"[٢٣].

**الأسلوبية:**

و"لقد انطلق دي سوسير من أن اللغة –أي اللغة–ما هي إلا نظام علاقي فريد، ومن ثم فإن أي وحدة لغوية: كالصوت، أو الكلمة، أو المعنى، لا تكتسب قيمتها، ووجودها إلا من خلال علاقتها، بالوحدات الأخرى، داخل النظام اللغوي المعين. وبالتالي فإن النظرة المنهجية إلى هذه الوحدات يجب أن تتمثل كونها نقاطا في نظام تربط بينها شبكة من علاقات التقابل والاختلاف ولقد قادت هذه النظرة دي سوسير إلى القول بأن مهمة اللسانيات الحقيقية هي وصف اللغة وضبط قواعد استعمالها، في حالة معينة من حالاتها"[٢٤].

ولقد كانت أسلوبية شارل بالي من مؤثرات دي سوسير مباشرة حيث كانت مستوحاة من الثنائيات التي وضعها دي سوسير في تخطيط دراسته الحديثة للغة, من هذه الثنائيات–كما سبق أن أشرنا إليها– اللغة والكلام، المادة والشكل(الأفكار، والأصوات)، واللغة ليست هي الأفكار، وليست هي الأصوات، بل هي التحام مادة الفكرة بمادة الصوت، وذلك الالتحام هو ما يتجسد شكلا في صورة لغة معينة(شبه وجهتي الورقة)"وثنائية: المحور الأفقي والمحور

[٢١] أبو العدوس، يوسف: الأسلوبية الرؤية والتطبيق , الطبعة الأولى:١٤٢٧/٢٠٠٧م، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان–الأردن. ص٤٠.

[٢٢] أبو العدوس، يوسف: الأسلوبية الرؤية والتطبيق، المرجع السابق، ص ٣٨.

[٢٣] المسدي، عبد السلام: الأسلوبية والأسلوب، الطبعة الثالثة ، الدار العربية للكتاب، طرابلس– الجمهورية العربية الليبية. ص٥–٦.

[٢٤] محسب، محي الدين: الأسلوبية التعبيرية عند شارل بالي. المرجع نفسه، ص ٤٦.

الرأسي: وهذه الثنائية تختص بتحديد العلاقات القائمة بين وحدات النظام اللغوي، ففي كل مركب لغوي تنشأ علاقات أفقية بين كل وحدة لغوية والوحدات المجاورة لها في سلسلة هذا المركب. وأبرز سمات هذه العلاقة أنه لا يمكن النطق بعنصرين لغويين معا في وقت واحد، كما أن أي عنصر لا يكتسب قيمته إلا بفضل اختلافه- صوتيميا، أو صرفيميا، أو نحويا، أو دلاليا- عما هو سابق له أو لاحق من العناصر الأخرى"[٢٥]، ومن هنا تتدخل عمل الاختيار، التي تمكّن المتكلم من الاستبدال بين عدة خيارات متاحة له، لتصبح أخيرا أسلوبا مفضلا لدى المتكلم وسمة عليه، ولذا قيل (الأسلوب هو الرجل)."وإذا كانت الدراسات اللغوية تركز على اللغة فإن علم الأسلوب يركز على طريقة استخدامها وأدائها، إذ إن المتكلم أو الكاتب يستخدم اللغة استخداما يقوم على الانتقاء والاختيار ويركب جمله ويؤلف نصه بالطريقة التي يراها مناسبة"[٢٦]، وبهذا "قدمت أسلوبيات بالي بعض المفاهيم الأساسية التي أصبحت تمثل موضوعات معتادة للنقاش والتمحيص في الدراسات الأسلوبية اللاحقة، وذلك مثل مفاهيم: التعبيرية- والقيم الأسلوبية- والاختيار"[٢٧]

وإن كان (**بالي**) قد فتق أبواب الأسلوبية بالأسلوب التعبيري إلا أن (**ريفاتير**) أيضا قدم جهدا كبيرا في إرساء دعائم الأسلوبية "ومع ميشال ريفاتير بدأت الأسلوبية البنيوية مسارا مهما في تناول الأسلوب في النص الأدبي، وقد أفرد كتابا خاصا لهذا الغرض وسماه بـ(محاولات في الأسلوب البنيوية صدر سنة١٩٧١م) وقد تمثلت غاية هذا الكتاب في أن الأسلوبية البنيوية تقوم على تحليل الخطاب الأدبي، لأن الأسلوب يكمن في اللغة ووظائفها، ولذلك ليس ثمة أسلوب أدبي إلا في النص"[٢٨] هذا بعد أن كانت أسلوبية (بالي) في اللغة العادي دون الفني الإبداعي[٢٩]، وبهذا ستخرج الأسلوبية من الدراسات اللسانية إلى الدراسات النقدية التي تُعنى بالنصوص الإبداعية.

**مبحث(٢): أثر اللسانيات في تطوير المناهج النقدية المعاصرة.**

[٢٥] محسب، محي الدين: الأسلوبية التعبيرية عند شارل بالي. مرجع سابق، ص٤٩-٥٠.

[٢٦] ربابعة، موسى: الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، الطبعة الأولى:٢٠٠٣م، دارا الكندي، للنشر والتوزيع، اربد- الأردن.ص٩.

[٢٧] محسب، محيي الدين: الأسلوبيات الأدبية: من لغة النص إلى مغزى الخطاب، رؤية منهجية وتطبيقية في النص الشعري العربي، من إصدارات كرسي الدكتور عبد العزيز المانع، لدراسات اللغة العربية وآدابها، بجامعة الملك سعود، الرياض - المملكة العربية السعودية. ١٤٣٢هـ. ص ٦٥.

[٢٨] ربابعة، موسى: الأسلوبية، المرجع نفسه، ص ١٥.

[٢٩] ( لقد كان المعيار الذي تم على أساسه هذا الاستبعاد- استبعاد النصوص الأدبية من أسلبوبية بالي- هو أن الأسلوبيات تختص بالاستعمال الجماعي العفوي اللغوي، أما الأساليب الأدبية فإنها لا تستعمل إمكانات اللغة على هذا النحو التلقائي الذي تستعملها به الأساليب الأخرى. فهناك في الأدب دائما القصد الجمالي. وهناك دائما تنبه الأديب لتقاليد الجنس الأدبي الذي يؤديه من خلال رسالته اللغوية.) ينظر: محسب: الأسلوبيات الأدبية، مرجع سابق، ص ٦٧.

يقول صاحب كتاب النقد اللساني: " أفضل النقد الأدبي في القرن العشرين هو بمجمله ذاك الذي ركز على اللغة في الأعمال التي كان الناقد بصدد نقاشها: في الأعمال الأولى للبنيويين مثل رولان بارت، وغيره، الذين طالما ارتكزوا في تعقيباتهم التأويلية، والتقييمية على بنى لغوية محددة في النصوص: التفتوا إلى التقديم والتأخير، واختيار المفردات، وأنساق الصوت والإيقاع، وتعقيدات المعنى وانفراداياته، وغير ذلك...فالاهتمام الواعي باللغة المستعملة في النصوص الأدبية، و الأنساق التي صيغت بها، حسّن كثيرا نوعية السجال الدائر بين نقاد الأدب الأكاديميين المرموقين، إذا أصبحوا أقل ميلا لمناقشة الأدب بحسب مواصفات من مثل مشاعرهم الخاصة، أو النيات المفترضة للمؤلف، أو الميزات الجمال"[٣٠] ، والفضل في ذلك يعود إلى العالم السويسري حيث "كان أول من دعا إلى دراسة المنهج الوصفي في اللسانيات، من حيث هو بديل منهجي عن المنهج التاريخي في رصد الظاهرة اللسانية والكشف عن نظامها ووظيفتها. وتطور هذا التفكير المنهجي على يد تلاميذ دي سوسير والمتأثرين بآرائه العامة في نقد الدراسات السالفة ليخرج في شكل جديد اصطلح على تسميته بالبنيوية..." [٣١]، ويمكن القول أن جل المناهج النقدية المعاصرة كانت من تأثيرات هذه الثورة العلمية التي قدمها علم اللغة الحديث. وحيث لا يمكن حصرها فإننا سنقصر الحديث على بعض منها والتي نعتبرها أمهات أو مصادر اشتقت منها بعض المناهج الحديثة مثل: "نقد الشكلانيين الروس، والبنيوية ..."[٣٢]

**مطلب١ : مناهج اعتنت بالبنية اللغوية(الشكلانية، والبنيوية).**

**الشكلانية: الشكلانية الروس:**

لقد نشأت الشكلانية الروس من مجموعتين: حلقة مسكو اللغوية، وحلقة سان بترسبورغ (لننكراد) ويطلق عليها اسم أبوياز Opoiaz. ويجمع بين أفراد هاتين الحلقتين عنصران هما: الاهتمام باللسانيات والحماسة للشعر الجديد خصوصا الشعر المستقبلي. وظهور الشكلانية إنما يعزى إلى الفترة التي تميز فيها الأدب الروسي، وخصوصا الدراسة الأدبية، بأزمة منهجية، لقد كان الأدب، في روسيا خاضعا لهيمنة نقد سوسيولوجي له خلفيات سياسية وأيديولوجية، وبذلك أصبحت العلاقة السببية بين الأدب والحياة أشبه بعقيدة مغلقة. ومع مجيئ الرمزية الذي حاول الإلمام بأسرار اللغة الشعرية، إلا أنهم توقفوا عند حدود مفهوم اللغة الشعرية كصورة، في حين يتجاوزه الشكلانيون من بعد، وذلك بعد أن صاغوا عملهم، استرشادا بمبدأين اثني:

المبدأ الأول: وقد لخصه جاكبسون قائلا: "إن موضوع علم الأدب ليس هو الأدب وإنما الأدبية وبذلك حصروا اهتمامهم في نطاق النص".

---

[٣٠] فاولر، روجر: النقد اللساني، ترجمة: عفاف البطاينة، مراجعة: هيثم غالب الناهي، الطبعة الأولى ٢٠١٢م، المنظمة العربية للترجمة، الحمراء-لبنان. ص ١٧-١٨.

[٣١] بوقرة، نعمان: المدارس اللسانية المعاصرة ، مرجع سابق، ص ٧٥.

[٣٢] فاولر، روجر: النقد اللساني، مرجع سابق. ص٩.

المبدأ الثاني: ويتعلق بمفهوم الشكل، فقد رفضوا رفضا باتا ما كان تذهب إليه النظرية النقدية التقليدية من أن لكل أثر دبي ثنائية متقابلة الطرفين: هي الشكل والمضمون وأكدوا أن الخطاب الأدبي يختلف عن غيره ببروز شكله[٣٣].

وقد سبق أن تحدث الباحث عن المدارس الألسنية التي نتجت عن دراسات دي سوسير، وتبين لنا أن من أهمها حلقة براغ اللسانية، تلك الحلقة التي عاشت في روسيا ما بين ١٩١٥-١٩٣٠م، وكان من أهم روادها (جاكوبسون)، وهو رائد الشكلانيين. وتوجهُ الحلقة في الدراسات اللسانيات والأدبية وَسَمَه باسم الشكلانية قدحا من قبل خصومهم، وإلا فما هي إلا نتيجة الدراسات اللسانية البنيوية التي أرسى دعائمها (سوسير) "إن المذهب الشكلاني يوجد في أصل اللسانيات البنيوية، أو على الأقل: في أصل اتجاهها الذي مثلته حلقة براغ اللسانية"[٣٤]، حيث اعتمد على اللغة الصرف في تصور منهجه، وتحديد توجهاته، "فإن العمل الشعري عند الشكليين إنما هو تصرف في اللغة لا تمثيل للواقع، فهذا الواقع يظل متمتعا بوجود كوني تجريبي مجاور للأدب وبعيد عنه، وإن كان هذا الأخير يشير إليه فحسب...مؤكدين أن الوقائع الفنية ذاتها تشهد بأن الفوارق المميزة الخاصة بالفن لا تتمثل في نفس العناصر الداخلية في تكوين العمل الفني، وإنما في الكيفية التي يتم استخدامها بها، وبهذه الطريقة فإن فكرة الشكل تكتسب معنى مختلفا، ولا تحتاج لفكرة أخرى مكلمة لها"[٣٥]

والمنهج الشكلاني من المناهج النقدية المعاصرة التي قدم الكثير للنقد الأدبي المعاصر،-"إننا ندين للشكلانية بنظرية أدب محضرة...كان من المفروض أن تلتئم، لسانا وفرضا، بنظرية جمال هي نفسها جزء من مذهب انثروبولوجي"[٣٦]- حيث حاول أن يؤسس نظرية لدراسة الأدب فهو يبحث عما يكسبه الأدبية[٣٧]، وتشتمل على قواعد لدراسة الأدب، ليصبح للأدب علما خاصا كبقية العلوم الأخرى، ومنظروه هم الذي وضعوا النظرية الأدبية في العصر الحديث، ومن أجل الانفلات من تأويلات فلسفية وجماليات أخرى والسعي في تحديد نوعية العلم أي أدبية الأدب، كان من الضروري المقابلة بين المتواليات، كمقابلة اللغة الشعرية باللغة اليومية، وهو ما كان يمثله النسق المنهجي، فكان نقطة انطلاق لأعمال الشكلانيين حول القضايا الأساسية لنظرية الشعر، فأزاح الشكلانيون أوجه نظر الأدباء التقليديين من التاريخ والثقافة أو الحياة الاجتماعية، إلى نحو اللسانيات التي كانت تظهر كعلم يواكب نظرية الشعر في مادة الدراسة.

---

[٣٣] ينظر بتصرف: نظرية المنهج الشكلي: نصوص الشكلانيين الروس، ترجمة: إبراهيم الخطيب، الطبعة العربية الأولى: ١٩٨٢م، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت-لبنان، والشركة المغربية للناشرين المتحدين، الرباط- المملكة المغربية. ص٩-١١.

[٣٤] نظرية المنهج الشكلي: نصوص الشكلانيين الروس، المرجع السابق، ص ١٥.

[٣٥] فضل، صلاح: نظرية البنائية في النقد الأدبي، الطبعة الأولى:١٤١٩هـ/١٩٩٨م، دار الشروق، القاهر- جمهورية مصر العربية. ص ٤١.

[٣٦] نظرية المنهج الشكلي: نصوص الشكلانيين الروس، المرجع السابق، ص١٥.

[٣٧] ينظر: الماضي، شكري عزيز: في نظرية الأدب، الطبعة الأولى:١٤١٤هـ/١٩٩٣م، دار لمنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان.ص١٨٢.

يقول بوريس إيخنباوم: "إن اسم (المنهج الشكلي) المرتبط بقوة إلى هذه الحركة، ينبغي أن يدرك كتسمية اصطلاحية، أي كمصطلح تاريخي، ولا يجب الاعتماد عليه كتعريف صالح، فنحن لا تميزنا(الشكلانية) كنظرية جمالية، ولا(المنهجية) التي تمثل نظاما علميا محددا، لكن الرغبة في خلق علم أدبي مستقل انطلاقا من الخصائص الجوهرية للمادة الأدبية. فهدفنا الوحيد هو الوعي النظري والتاريخي بالوقائع التي تخص الفن الأدبي، بما هو كذلك"[٣٨]. وقد تحقق ذلك إذ نتجت عن مفاهيم هذا المنهج، مناهج نقدية معاصرة يأتي في صدارتها المنهج البنيوي الذي ليس إلا مرحلة تطوير وتوجه جديد للمنهج الشكلاني.

**البنيوية:**

ولقد كان للسانيات الفضل الأكبر في جعل المنهج البنيوي قادرا على الخوض في دراسة التراث وأكثر معرفة بالظاهرة الأدبية، ولكن تأثير اللسانيات "قد كان ارتباطا بالمعرفة اللغوية من خلال اقترانه بالظاهرة اللغوية ذاتها فمن غير الصواب الظن بأن علم اللسانيات الحديث قد أنجب البنيوية بمحض التحول المنهجي وإنما الصواب أن اللسانيات قد أتاحت ظروف الوعي بما كان مستقرا في خبايا اللغة الطبيعية، فاللغة هي الرحم الأول لنشأة المعيار البنيوي"[٣٩]، ومنهج البنيوية أتاحت الفرصة للنظر في جميع العلوم الإنسانية وذلك عن طريق الوسائل التي أعطاها للإنسان في هذا العصر – القرن العشرين–"فقد أتاحت اللغويات للبنائية أن تبرز كمنهج يمكن استخدامه وتطبيقه في كل العلوم الإنسانية"[٤٠]، حتى إن (رولان بارت) يقول: إن البنيوية هي منهج لدراسة المنتجات الثقافية، وأنها نشأت أصلا في مناهج اللغويات الحديثة[٤١]. و" يمكن تحديد البنيوية على أساس أنها التيار اللغوي الذي يعنى بتحليل العلاقات بين العناصر المختلفة في لغة ما حيث يتم تصورها على أنها كل شامل تنظمه مستويات محددة "[٤٢]، فالبنيوية هي التي استخدمت المستويات الأساسية للتركيب اللغوي من مستوى صوتي، إلى مستوى صرفي، ونحوي تركيبي، وإلى دلالي[٤٣]، وقد لعبت دورا كبيرا في توجيه النقد، واكتسابه منهجية موضوعية، حيث يعتمد التحليل على مكونات اللغة مستبعدا عن التأثرات الخارجية، دراسة اللغة منغلقة على نفسها.(دراسة اللغة لذاتها في ذاتها).

---

[٣٨] نظرية المنهج الشكلي: نصوص الشكلانيين الروس، المرجع السابق، ص ٣١.

[٣٩] الحناش، محمد: البنيوية في اللسانيات ، مرجع سابق، ص ٢١

[٤٠] أبوزيد، أحمد: المدخل إلى البنائية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية. د.ط، القاهرة– جمهورية مصر العربية، ١٩٩٥م، ص ٦٨.

[٤١] ينظر: أبوزيد: المدخل إلى البنائية، المرجع نفسه، ص ٨٢.

[٤٢] فضل، صلاح: نظرية البنائية في النقد الأدبي،الطبعة الأولى:١٤١٩هـ/١٩٩٨م، دار الشروق، الفاهر– جمهورية مصر العربية. ص ٧٥

[٤٣] ينظر: بارت، رولان، وجينيت، جيرار: من البنيوية إلى الشعرية، ترجمة: غسان السيد، الطبعة الأولى: ٢٠٠١م، درار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق – سوريا–. ص١٩.

**دور اللسانية في تأسيس المنهج البنيوي:**

إن العصر الحديث كما سبق أن أشرنا إليه هو عصر اللسانيات الحديثة، وقد سيطرت وفتقت أبوابا كثيرة على الفكر الإنساني، وفي ذلك يقول (جون ستاروك) عن تأثر اللسانيات في الفكر والمفكرين: "إن لديهم جميعا نوعا من الهوس باللغة وبخاصة فيما يتعلق بطبيعتها النظمية وبقدرتها اللامتناهية على العطاء"[٤٤]، وكانت محاضرات دي سوسير خير مرشد للبنيويين "في دراستهم للظواهر الثقافية الأخرى، وساعدهم ذلك على تكوين المدرسة البنيوية، فالتفرقة التي أقامها دي سوسير بين الكلام واللغة كانت هي الأساس الذي أقام عليه البنيويون تفرقتهم الأساسية بين(الواقعة) أو (الظاهرة الجزئية) وبين المظاهر، أي بين التصرفات الفردية أو الحالات الواقعية للسلوك وبين النسق الذي يكمن وراء كل مظاهر السلوك المختلفة والذي يساعد على قيامها"[٤٥].

وقد مكن التأثر بدي سوسير من دراسة كل الصور الثقافية بمثابة اللغة، مما أفادهم في مجال التحليل والنظر في علاقة الجزء بالكل، بنظرة شمولية غير قائمة على أساس الاستقلالية لهذه العناصر الجزئية المكونة للكل، ولقد "استطاع علم اللغة الحديث- منذ أن تهيأ له منطلق علمي صحيح على يد مدرسة جنيف- أن يلعب دورا بالغ الأهمية في مجال الدراسات الإنسانية ذات الطابع البنائي...فهو أولا يتجاوز دراسة الظواهر اللغوية إلى دراسة بنيتها اللاشعورية، ويرفض معالجة الكلمات أو الوحدات على أساس أنها عناصر مستقلة بل على العكس من ذلك يتخذ العلاقات القائمة فيما بينها أساسا لتحليلاته، ثم يدخل فكرة النظام في هذا التحليل"[٤٦].

**مطلب٢: تحليل الخطاب أثر لساني في النقد الأدبي**

لقد كان الحديث فيما سبق عن أثر اللسانيات الحديثة في تأسيس بعض المناهج النقدية التي استعان بها النقد في العصر الحديث ليسير على نهج قويم سليم من العثرات والانطباعات النفسية، لأنه مع الآليات النقدية التي استلهما من اللسانيات فإن حكمه على الأثر الفني لا يصدر إلا على معيار[٤٧] علمي محايد.

ومن جملة هذه الأليات التي تساعد النقد في النظر في النصوص الإبداعية، تحليل الخطاب، والذي يقوم بتحليل لساني للنصوص اللغوية بشكل عام بما في ذلك النصوص الأدبية، وهو لا يهدف إلى الناحية الجمالية بل يهدف إلى اكتشاف نصوصية النص كأكبر وحدة لغوية[٤٨] ويدخل في ذلك دراسة جميع المستويات اللسانية من حيث شكل النص

[٤٤] ينظر: أبوزيد: المدخل إلى البنائية، المرجع نفسه، ص ٨٣.

[٤٥] ينظر: أبوزيد: المدخل إلى البنائية، المرجع نفسه، ص ٧٥-٧٦.

[٤٦] فضل، صلاح: نظرية البنائية في النقد الأدبي، مرجع سابق، ص ٨٩-٩٠.

[٤٧] ينظر: عزت، علي: الاتجاهات الحديثة في تحليل الخطاب، الطبعة الأولى: ١٩٩٩م،شركة أبو الهول للنشر، القاهرة- جمهورية مصر العربية. ص ٤٤.

[٤٨] عزت، علي: الاتجاهات الحديثة في تحليل الخطاب، المرجع السابق، ص ٤٧.

وبنيته ومن حيث دلالته ومنطقيته، ومن حيث تداوليته ومقاصده، ولكن كل ذلك في إطار النصوص اللسانية، أو في إطار لسانيات النص التي أصبحت جزءا من تحليل الخطاب،" ولقد تنبه اللغويون منذ الستينيات من القرن العشرين إلى أن تحليل الجملة المفردة في النص لا يفي بتحليل المعنى الإجمالي للنص بمغزاه المباشر وغير المباشر سواء كان هذا النص منطوقا أو مكتوبا، كما بدأ اللغويون الأمريكيون-أمثال روس ومكولي ولاكوف- يعترفون بأهمية دراسة المعنى إلى جانب دراسة البنية التركيبية، قائلين بأنه ليس في مقدور اللغوي أن يصف النحو بمعزل عن المعنى، ومن هنا بدأ إدخال دراسة السياق بمكوناته المختلفة والوظائف اللغوية المتعددة، إلى جانب دراسة الملامح اللغوية في تحليل الخطاب, واستعانت هذه المدرسة بنتائج علوم أخرى كالفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس"[٤٩] فهو لا يحفل بالنظرة الجزئية التي تقتطع جزئيات من النص لدراستها كما أنه لا يعتد بالانطباعيات ولا بالإغراق التنظيري الفلسفي في متابعة كلمات أو دلالات تأخذ البعد الإسقاطي من الناقد، وإنما بؤرة اهتمامه هي الانطلاق من النص فقط.

**الخطاب وثنائية دي سوسير(الكلام واللغة).**

من الجوانب التأثرية من دي سوسير على المناهج النقدية المعاصر، قضية الخطاب، الذي سعى المنظرون إلى التفريق بينه (الخطاب) وبين الثنائية التي وضعها دي سوسير أي الكلام، حيث اعتبر البعض أن الخطاب هو الكلام-إلا الملاحظ في هذا الجانب أن الكلام لم يحظ بأهمية لدى دي سوسير وإنما من جاء بعده هم الذي تنبهوا لأهمية الكلام فانطلقوا في تأسيس الدراسات التي تعتني به-؛ لأن "الخطاب تواصل لغوي ينظر إليه باعتباره عملية تجري بين متكلم، ومستمع، أو تفاعل شخصي يحدد شكله غرضه الاجتماعي"[٥٠] وهذا يذكرنا بالجانب التنفيذي الذي يراه دي سوسير في الكلام "فعل فردي، وهو عقلي مقصود"[٥١]، كلاهما إنجاز فردي إلا أن الخطاب يحتاج إلى مستمع والكلام لم يشترط ذلك.

ومفهوم الخطاب يختلف من مجال إلى أخر، ففي المجال اللساني يشير مصطلح الخطاب في معناه الأساسي: إلى كل كلام تجاوز الجملة الواحدة سواء كان مكتوبا أو ملفوظا، محتويا تلك الدلالات غير الملفوظة التي يدركها المتحدث والسامع دون علامة معلنة أو واضحة[٥٢]، فهو ملفوظ يتميز بخاصيات نصية، لكنه يتميز أساسا بوصفه فعلا خطابيا أنجز

[٤٩] عزت، علي: الاتجاهات الحديثة في تحليل الخطاب، المرجع السابق، ص ٤٧.

[٥٠] مليز، سارة: الخطاب، ترجمة عبد الوهاب علوب، الطبعة الأولى:٢٠١٦م، المركز القومي للترجمة، القاهرة- جمهورية مصر العربية. ص ١٥.

[٥١] دي سوسير، فردينان: علم اللغة العام، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، مرجعة: مالك يوسف المطلبي، سلسلة كتب شهرية تصدر عن دار آفاق عربية، بغداد- العراق،١٩٨٥. ص ٣٢.

[٥٢] ينظر: الرويلي، ميجان، وسعد البازغي: دليل الناقد الأدبي: إضاءة لأكثر من سبعين تبارا ومصطلحا نقديا معاصرا. الطبعة الثالثة:٢٠٠٢م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب. وبيروت- لبنان. ص ١٥٥.

في وضعية معينة(مشاركون، مؤسسات، موضع، زمان)[٥٣] وفي غير اللسانيات فإن الخطاب تكتسب مفهوما آخر أوسع بكثير من المفهوم اللساني، وهو ما نجده عند ميشيل فوكو حيث يقول: "إن الخطاب شبكة معقدة من العلاقات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تبرز فيها الكيفية التي ينتج فيها الكلام كخطاب ينطوي على الهيمنة والمخاطر في الوقت نفسه"[٥٤]، وبهذا المفهوم ندرك أن الخطاب ليس متعلقا بالكلام أو الجملة فقط، وإنما هو جملة أشياء تتكون من خارج الخطاب اللساني، وقد تصور ما ليس كلاما بالذات كالثقافة والأيديولوجيات، والمناهج وغير ذلك، فإن "الخطاب باعتباره مجالا خاصا باستخدام اللغة قد تحدد هويته المؤسسات التي ينتمي إليها والمواقف التي ينبغ منها والتي يبرزها المتكلم. إلا أن الموقف لا يقوم بذاته، بل يفهم باعتباره وجهة نظر يتخذها الخطاب من خلال علاقته بخطاب معارض غيره"[٥٥] ومن أجل هذه الاختلافات بين المفاهيم التي تكون ثمرة من المجال الذي ينتمي إليه يمكن القول: "إن لكل منهج نقدي أو كل مدرسة خطابها المتشعب من خطاب كلي، بل إن للنقاد خطاباتهم الخاصة المتمثلة في مفاهيمهم أو فيما يمارسونه من هيمنة ضمن حقولهم الإنشائية"[٥٦]، فالخطاب بهذا المفهوم أوسع من الخطاب اللساني.

ولقد استفاد النقد الأدبي من تحليل الخطاب حيث أمكنهم "مثلا من دراسة الحوار الروائي خاصة الكيفية التي يتمكن بها المتحاورون من الاستدلال إلى المعنى دون أن تكون هناك دلالة ظاهرة عليه"[٥٧].

**مطالب٣: نظرية التلقي والتداولية بين التأثر والتأثير:**

لانزال في صدد الحديث عن المناهج النقدية المعاصرة التي نتجت عن التأثرات اللسانية على النقد الحديث، وما نتعرض له في هذا المطلب هو نظرية التلقي والتداولية، وإن كنا نعرف أن منابعهما لم يكن من أرض واحدة نقصد بذلك أن الجذور العلمية للتلقي فلسفية، بينما التداولية وليدة مباشرة من اللسانيات، والملفت للنظر هو توجههما في الدرس المعاصر، فكل منهما اعتنى بالجانب الثالث من الخطاطة التي وضعها جاكبسون،(المرسل، الرسالة، المرسل إليه)، التلقي أعطت قيمة للمتلقي(المرسل إليه) وأكسبته أهمية في انتاج النص، بينما التداولية اعتنت بما ينتجه المتلقي من الرسالة الموجهة إليه، فبينهما قاسم مشترك هو ما ينتجه المتلقي أو السامع.

فالتداولية هي: "دراسة استعمال اللغة في سياق معين، أو: دراسة المعنى المقصود لدى المتكلم منفصلا عن معنى الكلمة، أي: تفسير الكلمات وألفاظ المتكلمين كما يريدون بها، لا كما تعنيه الكلمات والألفاظ"[٥٨]. وهي تسعى

---

[٥٣] بافو، ماري آن، وجورج إلياس رفاتي: النظريات اللسانية الكبرى: من النحو المقارن إلى الذرائعية، ترجمة: مُحَمَّد الراضي، الطبعة الأولى: ٢٠١٢م، المنظمة العربية للترجمة، بيروت– لبنان. ص ٣١٥.

[٥٤] الرويلي، ميجان، وسعد البازغي: دليل الناقد الأدبي، المرجع السابق نفسه.

[٥٥] مليز، سارة: الخطاب، مرجع سابق، ص ٢٣.

[٥٦] المرجع نفسه، ص ١٥٦.

[٥٧] الرويلي، ميجان، وسعد البازغي: دليل الناقد الأدبي، المرجع السابق، ص ١٥٥.

لتناقض "مفهوم الشكل الواحد للمعنى ، وتدعو إلى تقويض مبدإ الاعتداد بالملفوظ اللساني كدليل وحيد، أو كعامل فريد لبناء جمالية النص، وتحليل بنيته وفقْهه من قبل المتلقي، وإنما يمكن لهذا القارئ أن يعيد إنتاج النص بواسطة فعل الفهم والإدراك"[٥٩] تقريبا التلقي تسعى إلى تقرير الفكرة نفسها وهي إبراز مكانة القارئ أو المتلقي "فجمالية التلقي لم تكتف بالاعتماد على الذاتية ومعطياتها ، ولا على قراءة الحدس، وإنما عمدت إلى إشراك فعل الفهم، والمقدرة العقلية الواعية، واستثمار مرجعيات كثيرة ومتنوعة، والتي من شأنها أن تساهم في إذكاء عملية التفاعل مع بنية النصوص وعبر علاقة حوارية معه، غرضها إمعان النظر أكثر في ما يعتري القارئ من ردود فعل وقت التلقي، واستقراء كيفية وقوفه بنفسه على حلقات المعرفة وطبقاتها"[٦٠].

فإن التلقي في المصطلح النقدي الحديث يختلف عن التلقي بالمعنى التقليدي، الذي يكتفي فيه دور القارئ بالبحث عن المعنى الجاهز في النص، وإنما هو تلق يعطي القارئ دورا فعالا حاسما في بناء المعنى، إلى درجة أن تخلص المتلقي من كونها مستهلكا، يقع تحت سلطة النص أو المؤلف، إلى أن كاد يصبح البديل الشرعي للمؤلف[٦١]، فالتلقي في النقد الأدبي الحديث يعني "أن يستقبل القارئ النص بعين الفحص بغية فهمه وإفهامه، وتحليله... على ضوء ثقافته الموروثة والحديثة، وآرائه المكتسبة والخاصة، في معزل عن صاحب النص"[٦٢]. ندرك من هذا المفهوم الحديث للتلقي أنه فعل تأملي خلاق، يتم في إطار حوار تفاعلي متواصل بين الماضي والحاضر، بعيدا عن التركيز على قصد المؤلف.

**الخاتمة:**

إن اللسانيات الحديثة التي كان العالم السويسري (فرديناند دي سوسير) مؤسسها، جاءت بتصور جديد في آلية التفكير فقد فرضت وجودها على كل ميادين المعرفة الإنسانية، لأنها أصبحت تبحث في أصول آلية الإنتاج العلمي التي تفرز بها كل العلوم اللغوية ولهذا امتد تأثير اللسانيات إلى النقد الأدبي ويعيد بناء جهازه المعرفي، وعمل على تغيير أدواته العلمية ومعجمها النقدي، فكان جل المناهج النقدية المعاصر كانت نتيجة هذه التأثرات العلمية التي نتجت عن تأثر اللسانيات الحديثة في النقد الأدبي.

---

[٥٨] يول، جورج، التداولية، ترجمة: قصي العتابي، الطبعة الأولى ٢٠١٠م/١٤٣١هـ، الدار العربية للعلوم ناشرون ودار الأمان، ص١٩.

[٥٩] ما هي التداولية، من صفحة: ملتقي ابن خلدون للعلوم والفلسفة والأدب تحت الرابط:-http://ebn-khaldoun.com/article_details.php?article=545 تم الاستعراض، يوم السبت ٢٠١٨/٠٩/٢٩م.

[٦٠] ما هي التداولية، المرجع نفسه.

[٦١] ربابعة، موسى: موت المؤلف وآفاق التأويل، مجلة علامات، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ج:٥٨/ مج:١٥/ ديسمبر ٢٠٠٥م/ ص:٥٠

[٦٢] طليمات، غازي مختار: مقالة (أدبنا القديم ونظرية التلقي) ، من الموقع: http://bab.com/Node/4669 تاريخ التنزيل: ٢٠١٨/٠٣/٦م

ولقد عرفنا خلال هذه الجولة القصيرة التي قمنا به للنظر في هذا الأثر وتوصلنا إلى أن أغلب المناهج النقدية والتي كان من أهمها: الشكلانية الروس ذلك المنهج الذي فتق النقد الأدبي المعاصر وقدم له آليات جديدة للنظر في النصوص الأدبية، بمنظور نقدي فني، وأسس النظرية الأدبية. كما يأتي المنهج البنيوي وريث الشكلانية وقد كان منهجا مسيطرا على الساحة النقدية، قدم هو بدوره آليات نقدية مناسبة، ويمثل ثاني مراحل التطور النقدي التي تتمثل في ثلاث مراحل: مرحلة العناية بالمرسل، ومرحلة العناية بالرسالة، ومرحلة العناية بالمرسل إليه، المرحلة الثانية هي مرحلة البنيوية وشعارهم المعلن عنه هو موت المؤلف، وهي فكرة مساءلة النص، ونقده دون الاعتماد على المؤثرات الخارجية، مما يعني تبين تأثير لسانيات دي سوسير المباشر على إجراءاتهم النقدية. والمرحلة الثالثة يتمثل في المتلقي أو المرسل إليه، وهي نقطة تلاقي تطور اللسانيات الحديثة مع النقد، أي توحد التداولية ونظرية التلقي على الاعتناء بما ينتجه السامع أو المرسل إليه، وإكسابه أهمية في العملية التواصلية.

وعلى هذا فإن دور اللسانيات الحديثة في تطوير النقد المعاصر، مما لا يمكن إنكاره، ولم يكن النقد يعطي قيمة للبني التركيبية في النص لولا اللسانية، ولم يكن النقد ينتبه لمحتويات النص، ومستوياته(المستوى الصوتي، والمستوى الصرفي، والمستوى التركيبي، والمستوى الدلالي) لولا ما قدمته له اللسانيات، وكان الفضل كله في ذلك يرجع إلى اللسانيات، لذا وُسم القرن العشرين بعصر ثورة اللسانيات.

## المصادر والمراجع


أبو العدوس، يوسف: الأسلوبية الرؤية والتطبيق , الطبعة الأولى:١٤٢٧/٢٠٠٧م، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان– الأردن.

أبوزيد، أحمد: المدخل إلى البنائية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية. د.ط، القاهرة– جمهورية مصر العربية، ١٩٩٥م.

بارت، رولان، وجيرار جينيت: من البنيوية إلى الشعرية، ترجمة: غسان السيد، الطبعة الأولى: ٢٠٠١م، درار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق – سوريا–.

بافو، ماري آن، وجورج إلياس رفاتي: النظريات اللسانية الكبرى: من النحو المقارن إلى الذرائعية، ترجمة: مُحَمَّد الراضي، الطبعة الأولى: ٢٠١٢م، المنظمة العربية للترجمة، بيروت– لبنان.

بوقرة، نعمان: المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، ميدان الأوبرا– القاهرة،٢٠٠٣م.

حباشة، صابر: لسانيات الخطاب: الأسلوبية والتلفظ والتداولية، الطبعة الأولى:٢٠١٠م، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية– سورية.

حسين، صلاح الدين صالح: دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض–المملكة العربية السعودية.

الحناش، مُحَمَّد: البنيوية في اللسانيات، الطبعة الأولى: ١٤٠١هـ/١٩٨٠م، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء- المملكة المغربية.

دي سوسير، فردينان: علم اللغة العام، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، مرجعة: مالك يوسف المطلبي، سلسلة كتب شهرية تصدر عن دار آفاق عربية، بغداد- العراق،١٩٨٥.

ربابعة، موسى: الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، الطبعة الأولى:٢٠٠٣م، دارا الكندي، للنشر والتوزيع، اربد- الأردن.

الرويلي، ميجان، وسعد البازغي: دليل الناقد الأدبي: إضاءة لأكثر من سبعين تبارا ومصطلحا نقديا معاصرا. الطبعة الثالثة:٢٠٠٢م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب. وبيروت- لبنان.

عبد التواب، رمضان: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، الطبعة الأولى:١٩٨٢م/١٤٠٢هـ، مكتبة الخانجي بالقاهرة. ودار الرفاعي بالرياض.

عزت، علي: الاتجاهات الحديثة في تحليل الخطاب، الطبعة الأولى: ١٩٩٩م،شركة أبو الهول للنشر، القاهرة- جمهورية مصر العربية.

العلوي، شفيقة: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، الطبعة الأولى:٢٠٠٤م، دار أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان.

عمر، أحمد مختار: محاضرات في علم اللغة الحديثة، ، الطبعة الأولى:١٩٩٥م، دار عالم الكتب، القاهرة- جمهورية مصر العربية.

فاولر، روجر: النقد اللساني، ترجمة: عفاف البطاينة، مراجعة: هيثم غالب الناهي، الطبعة الأولى ٢٠١٢م، المنظمة العربية للترجمة، الحمراء-لبنان.

فضل، صلاح: نظرية البنائية في النقد الأدبي، الطبعة الأولى:١٤١٩هـ/١٩٩٨م، دار الشروق، القاهر- جمهورية مصر العربية.

فضل، صلاح: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، دار الشروق، القاهرة- جمهورية مصر العربية.

كريزويل، إديث: عصر البنيوية، ترجمة: جابر عصفور، الطبعة الأولى:١٩٩٣م، دار سعاد الطباح، الصفا- الكويت.

الماضي، شكري عزيز: في نظرية الأدب، الطبعة الأولى:١٤١٤هـ/١٩٩٣م، دار لمنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان.

محسب، محيي الدين: الأسلوبيات الأدبية: من لغة النص إلى مغزى الخطاب، رؤية منهجية وتطبيقية في النص الشعري العربي، من إصدارات كرسي الدكتور عبد العزيز المانع، لدراسات اللغة العربية وآدابها، بجامعة الملك سعود، الرياض – المملكة العربية السعودية. ١٤٣٢هـ.

المسدي، عبد السلام: الأسلوبية والأسلوب، الطبعة الثالثة ، الدار العربية للكتاب، طرابلس– الجمهورية العربية الليبية.

مليز، سارة: الخطاب، ترجمة عبد الوهاب علوب، الطبعة الأولى:٢٠١٦م، المركز القومي للترجمة، القاهرة– جمهورية مصر العربية.

المهيري، عبد القادر، وآخرون: أهم المدارس اللسانية، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس ١٩٨٦م.

نظرية المنهج الشكلي: نصوص الشكلانيين الروس، ترجمة: إبراهيم الخطيب، الطبعة العربية الأولى: ١٩٨٢م، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت–لبنان، والشركة المغربية للناشرين المتحدين، الرباط– المملكة المغربية.

يول، جورج، التداولية، ترجمة: قصي العتابي، الطبعة الأولى ٢٠١٠م/١٤٣١هـ، الدار العربية للعلوم ناشرون ودار الأمان..

**الدوريات:**

محسب، محي الدين: الأسلوبية التعبيرية عند شارل بالي. من: علوم اللغة: دراسات علمية محكمة تصدر اربع مرات في السنة، رئيس التحرير: محمود فهمي حجازي الملد الأول، العدد الثاني ١٩٩٨م، دار غريب، للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة–جمهورية مصر العربية.

ربابعة، موسى: موت المؤلف وآفاق التأويل، مجلة علامات، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ج:٥٨/ مج:١٥/ ديسمبر ٢٠٠٥م.